وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي غليزان

محاضرات في علوم القرآن

لطلبة السنة أولى ليسانس لغة وأدب عربي

د / محمد مقدم

فهرس المواضيع

الموضوع الأول : علوم القرآن مدلولات ومفاهيم

- تعريف علوم القرآن
- المدلولات اللغوية للفظ القرآن
- القرآن في الاصطلاح
- الفرق بين القرآن والحديث القدسي

الموضوع الثاني : الوحي

- المعاني اللغوية لكلمة الوحي
- الوحي بمعناه الاصطلاحي
- أنواع الوحي

الموضوع الثالث : تنزلات القرآن الكريم

- مراتب النزول
- أسرار وحكم نزول القرآن منجما

الموضوع الرابع : أهمية القرآن وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية

- أهمية دراسة علوم القرآن وبيان اثرها في الدراسات اللغوية
- أثر هذه الدراسات في تطور الدراسات النقدية

الموضوع الخامس: : جمع القرآن

- جمع القرآن تعريف وبيان
- مراحل جمع القرآن
- ترتيب الآيات والسور

الموضوع السادس : (علم أزمنة النزول) المكي والمدني

- تعريف المكي والمدني
- فوائد العلم بالمكي والمدني
- طرق معرفة المكي والمدني
- ضوابط المكي والمدني
- موضوعات القرآن المكي والمدني

الموضوع السابع : علم أسباب النزول

- تعريف سبب النزول
- طرق معرفته.
- فوائد معرفته
- العموم والخصوص في سبب النزول

الموضوع الثامن: علم التفسير

- تعريف التفسير
- أقسام التفسير
- نماذج من كتب التفسير بالمأثور
- نماذج من كتب التفسير بالرأي
- نماذج من كتب التفسير الإشاري

الموضوع التاسع : الإعجاز في القرآن الكريم

- مفهوم الإعجاز
- أنواع المعجزة
- مميزات المعجزة القرآنية
- شروط المعجزة
- مراحل تحدي القرآن للعرب
- أوجه الإعجاز في القرآن الكريم

الموضوع الأول : علوم القرآن مدلولات ومفاهيم

تعتبر علوم القرآن من أبرز العلوم التي يجب أن يطلع عليه كل متعلم لما فيه من ارتباط وصلة وثيقة بكتاب الله عز وجل، فشرف كل علم من شرف مادته، ولا أعظم ولا أشرف من التعامل مع كتاب الله عز وجل، وقبل الحديث عن بعض مباحث هذا العلم نورد تعريف موجزا عن هذه العلوم.

تعريف علوم القرآن : مركب إضافي من مادتي علوم والقرآن.

- **تعريف العلم: الفهم والإدراك، ثم نقل بمعنى المسائل المختلفة المضبوطة ضبطا علميا.**
- **والمراد بعلوم القرآن العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إل ى غيرذلك مما له صلة بالقرآن.**

المدلولات اللغوية للفظ القرآن:

اختلف العلماء في تحديد المدلول اللغوي لكلمة " قرآن":

1- **ذهب الفراء إلى أنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا.**
2- **ذهب الأشعري وآخرون إلى أنه مشتق من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه ، لأن السور والآيات تقرن فيه ويضم بعضها إلى بعض، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل.**
3- **ذهب الشافعي إلى أن لفظ القرآن ليس مشتقا ولا مهموزا بل وضع علما على الكلام المنزل على سيدنا محمد- ص-.**

هذه الآراء الثلاثة كلها تذهب إلى أن لفظ القرآن غير مهموز وممن رأى أنه مهموز:

- **الزجاج ذهب إلى أن لفظ القرآن على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة.**
- **ويقول اللحياني إنه مصدر مهموز على وزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا وسمي به المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر وهذا الرأي أقوى الآراء وأرجحها.**

فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى "إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه". أي قراءته فهو مصدر على وزن غفران تقول قرأته قرءا وقراءة وقرآنا بمعنى واحد، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على سيدنا محمد-ص- من باب تسمية المفعول بالمصدر.

ويقال للقرآن فرقان وأصله مصدر كذلك، ثم سمي به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر، باعتبار أنه كلام الله الفارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات. قال تعالى: "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا".

ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء القرآن الكريم وهناك أسماء أخرى منها : الكتاب والذكر والتنزيل.

ملاحظة: تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن أما تسمته كتابا كونه مدونا بالأقلام تسمية للشيء بالمعنى الواقع عليه وفيها إشارة إلى حفظه في الصدور والسطور جميعا.

القرآن في الاصطلاح:

ذكر العلماء تعاريف كثيرة للقرآن الكريم غير أننا نوجزها ونختصرها في تعريف جامع وهو: "كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته المبدوء بالفاتحة المختتم بالناس".

وينبني على هذا التعريف خروج ما لا يدخل فيه بالنظر إلى تلك المحددات فقولهم:

- كلام الله: خرج به ما ليس من كلام الله ككلام الملائكة والأنبياء وسائر البشر.
- المعجز: خرج به ما لا يتحقق به الإعجاز من غير كلام الله تعالى وهو القرآن.
- المنزل على سيدنا محمد: خرج به ما لم ينزل أصلا مثل كلامنا ومثل الحديث النبوي وما نزل على غير النبي –ص- كالتوراة والإنجيل.
- المنقول بالتواتر: خرج به ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة سواء المشهورة أو الآحاد.

مثال القراءة المشهورة: قراءة ابن مسعود" متتابعات" عقيب قوله تعالى" فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام". وكذلك قراءته متتابعات عقيب قوله تعالى: "ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر".

- المتعبد بتلاوته: خرج به الأحاديث القدسية.

ما يستفاد من التعريف:

- القرآن كلام الله لفظا ومعنى ليس للنبي –ص- فيه إلا التبليغ.
- أنه معجز يعجز الملائكة والبشر والجن أن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.
- أنه منزل على قلب النبي –ص- من السماء الدنيا منجما حسب الأحداث والوقائع طيلة 23 سنة .

- أنه عربي ليس فيه غير اللغة العربية ، وإن وجدت فيه كلمات ظاهرها غير عربي فقد عربت.
- أنه منقول إلينا بالتواتر فقد نقلته الجموع الغفيرة عن مثلها من رسول الله-ص- إلى يومنا هذا بحيث لا يمكن أن تتفق هذه الجموع على الكذب أو الخطأ.
- أنه متعبد بتلاوته أي أن المؤمن يعبد الله تعالى بمجرد تلاوته، ويثاب على كل حرف من حروفه بعشر حسنات، وأنه يصلى به فلا تصح الصلاة بغيره.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي

لقد سبق تعريف القرآن الكريم ولكي نستطيع تحديد الفروق بينه وبين الحديث القدسي لابد أن نعرف الحديث القدسي.

الحديث القدسي: هو ما يضيفه النبي-ص- إلى الله تعالى أي أن النبي-ص- يرويه على أنه من كلام الله، فالرسول راو لكلام الله بلفظ من عنده وله صيغتان:

أ- قال رسول الله –ص- فيما يرويه عن ربه عز وجل.
ب- قال رسول الله-ص- قال الله تعالى أو يقول الله تعالى.

مثال الأول: عن أبي هريرة-رض- عن النبي-ص-فيما يرويه عن ربه" يد الله ملآى لا يغيظها نفقة سخاء الليل والنهار" رواه البخاري.

مثال الثاني: عن أبي هريرة-رض- عن الرسول –ص-قال: يقول الله تعالى :"أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني...." رواه البخاري.

بيان أهم الفروق:

- القرآن وحي من الله لفظا ومعنى، والحديث القدسي وحي معنى ولفظه من عند رسول الله-ص-، والقرآن لا يضاف إلا لله أما الحديث القدسي فإنه يضاف للنبي-ص-.
- القرآن معجز وقع به التحدي أما الحديث القدسي فغير معجز ولم يقع به التحدي.
- القرآن كله متواتر قطعي الثبوت، أما الأحاديث القدسية فأكثرها آحاد ومنها الصحيح والحسن والضعيف.
- القرآن متعبد بتلاوته ولا تصح الصلاة إلا به أما الحديث القدسي فلا.
- القطعة من القرآن تسمى آية بخلاف الحديث القدسي.
- القرآن الكريم لا يمسه إلا المطهرون، بخلاف الحديث القدسي.

الموضوع الثاني : الوحي

لقد بلغت المعارف البشرية في العصور المتأخرة مبلغا عظيما، بفضل ازدهار الحياة العلمية فيها، وآمن العلم المادي بأن هناك عالما غيبيا وراء هذا العالم المشاهد، وأن عالم الغيب أدق من عالم الشهادة، وأننا نرى آيات الله في كونه بفضل ما وصل إليه العلم الحديث مصداقا لقوله تعالى:" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" وقوله تعالى: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا".

ومن آيات الله في كونه هذا الإنسان الذي يتكون من مادة وروح فقد تبلى ذراته وتفنى أنسجته وخلاياه، ما لم يتناول قسطه من الغذاء، فكان جديرا بالروح أن يكون لها غذاء يمدها بالطاقة الروحية كي تحتفظ بمقوماتها وقيمها. وليس ببعيد عن الله أن يختار من عباده نفوسا لها من نقاء الجوهر وسلامة الفطرة ما يعدها للفيض الإلهي، والوحي السماوي والاتصال بالملإ الأعلى، ليلقي إليها برسالاته التي تسد حاجة البشر في رقي وجدانه وسمو أخلاقه واستقامة نظامه وهؤلاء هم رسله وأنبياؤه.

المعاني اللغوية لكلمة الوحي:

مصدر ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين هما الخفاء والسرعة.

ولذا قيل في معناه:" الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره" وله عدة معان:

- الإلهام الفطري للإنسان: كالوحي إلى أم موسى قال تعالى: " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه" القصص 07.

وقال تعالى:" وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي".

- الإلهام الغريزي للحيوان: كالوحي إلى النحل قال تعالى: "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر..." النحل 68.
- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء: كإيحاء زكرياء فيما حكاه القرآن، " فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا" مريم 11.
- وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان: قال تعالى:" وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم فإن أطعتموهم إنكم لمشركون" الأنعام 121.
- وحي الله إلى الملائكة: قال تعالى: "إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم" الأنفال 12.
- وحي الله إلى أنبيائه ورسله من البشر: قال تعالى:" قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي" الكهف 04.

الوحي بمعناه الاصطلاحي:

عرفه الشيخ محمد عبده" بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، فالأول بصوت يتمثل لسمعه وبغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستقيه النفس فتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى؟ وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور".

أنواع الوحي

ينقسم الوحي إلى نوعين أساسيين :

- **النوع الأول وحي الله إلى ملائكته: ويتضمن هذا القسم وحي الله إلى جبريل عليه السلام بالقرآن ليبلغه للنبي-ص- وللعلماء في كيفية الوحي على جبريل مذهبان:**

الأول: يقول الجمهور أهل السنة إلى أن جبريل سمع القرآن من الله تعالى بكلامه المخصوص وبالكيفية التي يعلمها الله.

الثاني : قال بعضهم أنه قد حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ثم نقله إلى رسول الله-ص- بأمر من الله تعالى والراجح هو الرأي الأول.

- **النوع الثاني وحي الله إلى رسله من البشر: وهذا النوع يأتي بأشكال وصور مختلفة، وقد أشارت الآية الكريمة إلى بعض منها في قوله تعالى:" وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم" الشورى51.**

وللعلماء في تفصيل نزول الوحي على الأنبياء والرسل نوعان اثنان هما

- **الوحي بواسطة الملك جبريل عليه السلام: وهذا النوع له صور**

الصورة الأولى: أن يأتي الملك مثل صلصلة الجرس والصوت القوي فيثير فيه عوامل الانتباه فتتهيأ النفس بكل قواها لتلقي أثره.

الصورة الثانية: أن يتمثل له جبريل في صورة إنسان يشاكله في المظهر ولا يخالفه ويطمئنه ولا يرعبه وهذه الحالة أخف من الأولى.

وهاتان الصورتان دل عليهما الحديث الذي أخرجه البخاري عن عائشة-رض- أن الحارث ابن هشام سأل رسول الله –ص- فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله-ص-" أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل الملك رجلا فأعي ما يقول" وقالت عائشة-رض-" ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا".

ونجد النبي-ص- في الحالتين يقول:" وقد وعيت ما قال أو يقول " مما يدل على مدى ضبطه للقرآن الكريم من الوحي وعدم خلطه بكلامه العادي ولذلك لم يخلط النبي –ص- طيلة عصر التنزيل القرآني بين شخصيته الإنسانية المأمورة المتلقية وبين وجهة الوحي الآمرة المتعالية.

- الصورة الثالثة: أن يرى النبي ص- جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها فيوحي إليه ما يشاء الله أن يوحيه وقد شاهد النبي –ص- جبريل على صورته الحقيقية مرتان: عند بداية الوحي حينما كان يتعبد في غار حراء وقصته مع زوجه خديجة –رض- عنها معلومة ومشهورة ، والثانية في معجزة الإسراء والمعراج حينما عرج بالنبي –ص- إلى السماوات العلى.

قال تعالى في الصورة الأولى:" ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى" النجم 08.

وقال سبحانه في الصورة الثانية: " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى" النجم 13.

الوحي بغير واسطة : وله عدة صور منها:

- إلقاء المعنى في قلب النبي –ص- أو النفث في روعه الكلام نفثا قال النبي –ص-: " إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ..." رواه ابن حبان.
- التكليم المباشر ومن دون حجاب يقظة لا في المنام، ولقد كان ذلك حين عرج به إلى السماء وأوحى الله إليه بالصلاة وكان ذلك وحيا مباشرا.
- الرؤيا الصادقة ورؤى الأنبياء وحي فكما قال النبي –ص- " انقطعت النبوات ولم تبق إلا المبشرات". وقالت عائشة –رض-" أول ما بدئ به رسول الله-ص- من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" رواه البخاري.

الموضوع الثالث : تنزلات القرآن

لقد جمع الله لنبيه –ص- مكرمتين في نزول القرآن الكريم فبعد أن كان الأنبياء والرسل قبله ينزل عليهم الوحي دفعة واحدة، اختص الله نبيه بالجمع بين الإنزالين معا، وقد ذكر العلماء في تفصيل ذلك مراتب ثلاثة:

- المرتبة الأولى: تنزل القرآن إلى اللوح المحفوظ، وهذا التنزل لم يطلع أحد على حقيقته فهو غيب من غيوبه سبحانه، وميزة هذا التنزل أنه نزل جملة واحدة ولم ينزل مفرقا، ودليله قوله تعالى:" بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ".

والحكمة من هذا أن يدرك العبد المؤمن أن هذا من أفعال الله وهولا يسأل عما يفعل، وهو سبحانه الأدري بما يصلح لشؤون خلقه، كما أن فيه علامة امتحان للإيمان بالغيب قال تعالى:" الذين يومنون بالغيب".

- **<u>المرتبة الثانية:</u> تنزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة، وفي ليلة واحدة وصفها الله سبحانه بالليلة المباركة قال تعالى:" إنا أنزلناه في ليلة مباركة".**

وأخرج الحاكم بسنده عن ابن عباس-رض- قال:" فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي-ص-.

والحكمة من هذا تعظيم شأن القرآن والتنويه بقدره وتفخيم أمره وأمر من نزل عليه، حيث كان هذا في ليلة مباركة وشهر عظيم " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس".

- **<u>المرتبة الثالثة:</u> وهو التنزل الأخير حيث نزل منجما بواسطة الأمين جبريل عليه السلام على مدار ثلاث وعشرين سنة. قال تعالى": نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"**

والحكمة من هذا التنزل الأخير مسايرة الظروف ومقتضيات الأحوال، ووعظ الناس وهدايتهم وبيان أحكام دينهم على حسب الوقائع والأحداث.

<u>أسرار وحكم نزول القرآن منجما</u>

إن لنزول القرآن الكريم منجما ومفرقا حكما وأسرارا، علم بعضها وخفي الآخر، فقد بين الحق سبحانه السر في ذلك فقال:" وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا" الإسراء 106.

وروي أن اليهود والمشركين اقترحوا على النبي-ص-نزول القرآن جملة واحدة لتضايقهم من جبريل الذي ينزل بما يكشف عوراتهم ومؤامراتهم، في قوله تعالى: "وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة.." الفرقان 32 فرد عليهم الحق سبحانه: "كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا" الفرقان 33.

- **<u>الحكمة الأولى:</u> تثبيت قلب النبي-ص- أن تجدد الوحي وتكرار النزول يشرح صدر النبي –ص- ويضفي عليه عناية خاصة وتجليات دائمة، ويكون عونا على تخفيف الآلام التي يعانيها من خصومه المكذبين، وشحذا لهمته وأزرا لقوته وتجديدا لعزيمته.**

قال تعالى:" واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا" الطور 48

وقال سبحانه: " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك" هود 120. وقال سبحانه" كذلك لنثبت به فؤادك" الفرقان 32.

- **<u>الحكمة الثانية</u>: تسهيل حفظه وفهمه وتدبره على المسلمين فقد نزل القرآن والعرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، فكان من حكمة الله سبحانه إنزاله على هذه الهيأة حتى يتيسر حفظه وفهمه، قال تعالى: " سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله" الأعلى 04.**

وقال سبحانه " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر". لذا فإن المسلمين بحاجة إلى أن يعطوا فرصة تمكنهم من حفظه في الصدور، وفهم معانيه، وتدبر آياته واكتشاف أسراره وتطبيق أحكامه.

- **<u>الحكمة الثالثة</u>: التدرج في تربية الأمة حتى تتأسس على قواعد متينة من الإيمان والأخلاق الفاضلة، والتعامل الحسن، وتنطلق للعمل الصالح من خلالها بعد ما رسخت في العقل والقلب، ولعل من أقوى الأمثلة على سلوك القرآن مسلك التدرج في تربية المؤمنين، منهجه في تحريم الخمر واقتلاعها من مجتمع كانت تسري فيه سريان الروح في الجسد، فقد تدرج القرآن في اقتلاع الآفة من خلال نصوص متتابعة ومتدرجة في منهج تربوي من لدن حكيم خبير.**

قال تعالى:" ومن ثمرات النخيل و الأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" فقد أخبر سبحانه أن مصادر الخمر فيها الحسن الطيب، وسكت عن السكر ليتضح قبحه من خلال مفهوم المخالفة.

ثم قال:" يسألونك عن الخمر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما..." البقرة 219. وقد بينت الآية الكريمة أن المنافع الوهمية المتوقعة من الخمر، لا تساوي شيئا بالنظر إلى مساوئها الكثيرة، فهي تذهب بالعقل وتضعف البدن وتصيبه بالوهن، وتذهب الغيرة وتورث الأمراض فما أكثر مضارها وما أقل منافعها.

ثم قال الحق سبحانه: " يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون" فقد حرم الله سبحانه عليهم في هذه الآية الكريمة أن يدخلوا الصلاة وهم في حال سكر، حتى لا يقحم في الصلاة ما لا يجوز فشارب الخمر لا يحصي أقواله ولا تصرفاته، وفي الربط بالصلاة تضييق دقيق لتعاطي الخمر، حتى إذا ما قال منها شاربوها أو كادوا يتركونها في استعداد ذهني ونفسي لتحريمها جاء النهي الإلهي الصريح عن شرب الخمر بعد أن تدرج بهم من إلى مرحلة إلى أخرى.

قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" المائدة 90.

<u>الحكمة الرابعة</u>: مسايرة الوقائع والأحداث وفيها من الحكم الشيء الكثير، من ذلك توجيهات القرآن وأحكامه في كثير من الأحكام، مثل قضية الظهار ونزول آيات المجادلة ومنها تصويب اجتهاد النبي –ص- في أسرى بدر ومنها تصحيح مفاهيم المسلمين في بعض المواطن كيوم أحد ويوم حنين ومنها كشف سلوك الأعداء من اليهود والمنافقين وفضح سرائرهم وتخطيطاتهم.

الحكمة الخامسة: الإجابة عن الأسئلة فكثيرا ما توجه للنبي-ص- أسئلة من اليهود والمشركين على سبيل التعجيز أو التحدي فيتكفل القرآن بالرد المفحم، إلجاما لأفواه الأعداء وتبكيتا لألسنتهم، ومن ذلك قوله تعالى: "يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء" وقوله: " يسألونك ماذا ينفقون" "يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير" وقد تكون الأسئلة من المسلمين أنفسهم قال تعالى: "يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول".

الحكمة السادسة: بيان إعجاز القرآن الكريم حيث يعتبر نزول القرآن مفرقا دليلا على ربانية مصدره، وأنه من عند الله تبارك وتعالى، فقد كان النبي-ص- تنزل عليه الآيات فيقول ضعوا الآية كذا مكان كذا، ولم يلتبس عليه في يوم من الأيام، ولم ينقص شيء من القرآن ، كما أن كثيرا من الوقائع تحدث عنها القرآن قبل حدوثها وأخرى حدثت في الماضي السحيق، ودقق القرآن في وصفها، وفي هذا دلالة واضحة على إعجاز الغيب في القرآن وعلى أن نزول القرآن منجما ومفرقا له حكم عظيمة وغايات جليلة.

الموضوع الرابع : أهمية القرآن وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية

هناك جملة من الأسباب والدواعي تستوجب دراسة علوم القرآن لمل لها من الأثر البين والواضح في الدراسات اللغوية والأدبية ولعل من أبرز تلك الأسباب:

السبب الأول : القرآن الكريم هو أول كتاب ظهر في تاريخ اللغة العربية وإنما نشأت حركت التدوين والتأليف على ضوئه وسارت بإشراقه وتأثرت بأحكامه وحكمه ومقاصده ومراميه وبخطابه وأساليبه فقد كان مظهرا هاما للحياة العقلية والفكرية والأدبية التي عاشها العرب

السبب الثاني : إنما استقام أمر العربية على منهج موحد بسر القر آن وتأثيره، وإنما ضمن لها البقاء والحفظ بسبب ذلك وحده، فقد كانت اللغة العربية قبل نزول القرآن أمشاجا من اللهجات المختلفة فلما نزل القرآن قرب بين اللهجات واجتمعت القبائل العربية على لغة القرآن متأثرة بسحرها ووحدها القرآن حسا وروحا ولغة.

السبب الثالث : إن البلاغة والبيان كان دأبهم وسلوكهم فلما نزل القرآن التفتوا إليه فدهشوا لبيانه وسجدوا لبلاغته وسمو تعبيره وأجمعوا على اختلاف أذواقهم ومسالكهم ولهجاتهم أن هذا القرآن هو البيان الذي لا يجارى ولا يرقى إليه النقد.

السبب الرابع : إن اللغة العربية قبل نزول القرآن كانت مليئة بالكلمات الحوشية الثقيلة على السمع المتجافية عن الطبع وبعد نزول القرآن أصبح متن اللغة مطبوعا بالطالع القرآني ونما ذوق وحس رفيع في نفوس العرب أنبته لديهم القرآن وأسلوبه.

أثر هذه الدراسات في تطور النقد العربي

إنه مما لا شك فيه أن تلك الدراسات القرآنية والتي عنيت بالبحث في إعجاز القرآن الكريم وبيان وجوهه، كانت نابعة من قناعة أصحابها من أن القرآن الكريم قد تبوأ مكان الصدارة كنص أدبي أول لهذه الأمة، وككتاب معجز. فكان لا بد من متابعة دلائل الإعجاز فيه في كل زمان ومكان لكل الذين يتصلون بهذا الدين، ومن الطبيعي أن يكون القرآن محورا لأهداف الفكر والتأليف في الأمة، وينبوعا لكثير من جداول ثقافتها، وحافزا على العناية بكثير من فروع العلم التي تعين على فهم هذا الكتاب وإدراك أسراره.

وعلى الرغم من اختلاف آراء العلماء وتباينها فيما عرضوا له من دراسات لا سيما تلك التي كانت على علاقة مباشرة "بقضية الإعجاز في القرآن ووجوهه"، فإن ذلك اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، بل إنه اختلاف في الأفكار والرؤى أثمر دراسات قيمة كانت من أهم عوامل بناء صرح البلاغة العربية :"فمن المؤكد أن الدارسين للإعجاز القرآني وتفسيره تركوا أثرا لا حدود له في مجال الدراسات البلاغية، وفي ميدان الدراسات الأدبية بوجه عام

وهذا ما يجعلنا نقول أن فضل هؤلاء على البيان العربي لا ينكر، وعلى رأس أولئك الجاحظ" بما له من اليد الطولى على البيان العربي فقد أثمرت جهوده في دراسة أسلوب القرآن ثمرات طيبة" وهو "يعد بلا منازع مؤسس البلاغة العربية.

وقد توالت جهود العلماء بعد الجاحظ، وكان من بين أهم المسائل التي عنو ببحثها "وجوه الإعجاز في القرآن الكريم" وكل أدلى بدلوه في هذه القضية، ولكن ما من شك أن هذه الغاية –وهي البحث عن وجوه الإعجاز في القرآن- أدت إلى غايات أخرى وأهداف متعددة، كان في مقدمتها دراسة علوم البلاغة، وتحولت الغاية من الناحية الدينية إلى نواح علمية عديدة. وبهذا احتلت قضية إعجاز القرآن مكانة بارزة في توجيه حركة التأليف النقدي والبلاغي عند العرب، إذ أن القرآن، ومحاولة إثبات إعجازه بيانيا كان موضوعا حافزا للتأليف البلاغي عند جمهرة علماء المسلمين على اختلاف منازعهم، ومشاربهم من لغويين، وأدباء، ونظار (رؤساء فرق) كل بما يملك من وسائل الثقافة وبما يتاح له منها تجمعهم جميعا غاية واحدة أو هدف واحد، ألا وهو إثبات التفوق البياني لهذا النصي على سائر ما اهتدى إليه العرب من نظم القول

ولقد توجهت عناية كثير من الدارسين والباحثين إلى البحث في أثر القرآن على الأدب العربي بصفة عامة ،ويأتي في مقدمة ذلك الكتاب القيم للأستاذ محمد زغلول سلام "أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري" ومنها ما كتبه الأستاذ محمد سالم محسن" القراءات القرآنية وأثرها في النحو"، وهو كتاب مفيد جدا في بابه إلى غير ذلك من الدراسات –خاصة الأكاديمية منها من بحوث، ورسائل جامعية- والتي ركزت اهتمامها على إبراز أثر القرآن في علوم العربية ،لا سيما علم البلاغة: ولأجل ذلك فإني سأحاول أن أعطي نظرة

موجزة عن أثر البحث في قضايا الإعجاز في الأدب والنقد والبلاغة –على أن ذلك في الحقيقة، إنما هو مجال واسع ليس من السهل الإلمام بمباحثه- وقد اعتنى به أهل التخصص من الأساتذة والباحثين، وكان لهم فيه إسهامات جليلة ونافعة –ولكن يمكن أن نوجز تلك الآثار فيما يلي:

أولا: وقوف البيان القرآني في القرن الرابع الهجري سدا منيعا أمام تيار الصنعة والتكلف، فقد أدخلت الفلسفة ودراسات أرسطو في تقنين الشعر والنثر، وأسرف أصحاب المذهب البلاغي (مذهب البديع) في الصناعة البديعة، بينما راح أصحاب (طريقة العرب) ينهلون من نبع القرآن الصافي، فقاموا بردّ فعل قوي أسس تيارا مضادا، إذا استخلصوا طريقة العرب في البيان من القرآن الكريم، ومن الشعر العربي القديم، وأحلوا الطبع والسجية المقام الأول، بدل الصنعة وتكلف الكثير من الزخارف اللفظية والمعنوية.

فدراسات علماء الإعجاز لها الفضل الأول في حماية البيان العربي، وحماية النقد الأدبي من المقاييس والموازين الدخيلة، كما لها الفضل في الرجوع بالأدب العربي إلى طبيعته العربية الأصيلة. كما كان لها الفضل في نشأة ذوق أدبي "قرآني" في فهم البيان وفنون القول، وتقدير أسرار الجمال في الأسلوب العربي

ثانيا: ما أسهمت به تلك الأبحاث التي خاضت في الأثر النفسي للتعبير، وما يعتمد عليه من صور مختلفة من ترقية لعلم الذوق، فبرز جليا أثر القرآن في تربية الذوق الأدبي العربي وانطلق علماء القرآن والبيانيون من النظر في جلال الربوبية وأثرها في القرآن إلى الطبع وأثره في الشعر، ومن تلك الأبحاث للأثر النفسي في التعبير ليتوصلوا إلى ما اصطلح عليه حديثا بعلم النفس الأدبي ويسهموا فيه إسهامات معتبرة.

كما كان للصور البيانية في القرآن آثار نفسية مختلفة وبلاغية رائعة، ترسم في الخيال صورا تثير في النفس المعاني إثارة مؤثرة، وكذلك دراستهم في علم البديع لخصائص الألفاظ في جرسها، وإيقاعها في المحسنات اللفظية من نظم، وسجع، وفواصل، وما لهذه الصور البيانية وإيقاع المحسنات اللفظية من إثارة للعواطف، والانفعالات وذلك عن طريق مخاطبة الحواس من سمع، وبصر، وحسٍّ، وذوقٍ، وشم .

ثالثا: القرآن الكريم هو صاحب الفضل الأكبر في تربية ملكة "النقد الأدبي عند العرب وتطورها وأن أسلوبه المتميز له الأثر في مقاييس النقد الأدبي وموازينه، بل إن كل من يمعن النظر في دراسة النقد الأدبي، يدرك أن ملكة النقد إنما بنيت على أساس دراسات الإعجاز ونمت وتطورت في ظلال القرآن الكريم وهذه الخاصية تفرد بها الأدب العربي دون غيره من الآداب الأخرى، لأنها لم تحو كتابا مثل القرآن .

رابعا: افتنان أدباء العرب بنظم القرآن المحكم وتأثرهم بأسلوبه البليغ، وإجماعهم قديما وحديثا على النهل من معينه، و الاغتراف من بحر بيانه، والتمتع بسحر عباراته .

خامسا: ومن الأمور التي اهتم بها الدارسون للإعجاز "نظم القرآن" أو "موسيقى التأليف"، وألمحوا إلى أن الفاصلة هي مفتاح الوزن القرآني وموسيقى نظمه، ولأجل هذا كانت "الفاصلة القرآنية" محور بحوث العلماء المسلمين، والتي استفاد منها العلماء في وضع الفوارق بين تلك الأشكال التعبيرية التي ترفض التكلف في العبارة الأدبية وتجري على الطبيعة التي تقتضيها المعاني، وبين تلك التي يقصد إليها قصدا لتحقيق لون من التحسين في شكل العبارة، ولو على حساب المعاني فسمي الأول: (فواصل) كما ذهب إلى ذلك الرماني ومن بعده الباقلاني وسمي الثاني: (أسجاعا)

"وأفادوا النقد بتلك البحوث، لأنهم نبهوا إلى ضرورته في التعبير الفني، قرآنا كان، أو شعرا، أو خطبا، أو سجع كهان، أو كتابة رسائل ".

سادسا: وفي سبيل ردّ الباحثين في الإعجاز على ما قيل من معارضة المرتدين والمتنبئين للقرآن، استنبط الخطابي أسس المعارضة القولية من المأثور الأدبي، فكان أول من سجل هذه الأسس نظريا بعد أن كانت صورا محكية عن التراث

سابعا: كما تنبه بعض الباحثين في إعجاز القرآن إلى آثاره النفسية التي كان الأولون قد سجلوها في حكايا لا تأخذ شكل النظرية، حتى إذا جاء الخطابي جعلها وجها من وجوه الإعجاز فوجه الأنظار بها إلى المجال الأدبي .

وهكذا يمكننا أن نقول: بأن القرآن كان صاحب فضل لا ينكر في تربية الملكة النقدية عند العرب وتعهدها منذ نشأتها، وتطورها في دراسات القرآن، والنقد أو البلاغة، وكان لما امتاز به أسلوبه من روعة في التعبير، وجمال في الأداء، أكبر الأثر في مقاييس الأدب وموازينه، وكان الشاهد من آياته الحكم والمرجع في فنون القول وضروب الأساليب

الموضوع الخامس : جمع القرآن

كان الرسول- صلى الله عليه وسلم- شديد العناية بالقرآن حفظا وكتابة، وقد كان في بدابة الوحي يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي قبل فراغه من قراءته حرصا على حفظه وحتى لا يفلت منه شيء فنزل قول الحق سبحانه" لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" أي أن الله سيجمعه في صدرك ثم يقرؤه عليك جبريل فإذا قرأ فاستمع وأنصت إن علينا بيانه وتوضيحه على لسانك"

ولقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم-- سيد الحفاظ ترعاه العناية الإلاهية وتمده بأسباب السداد لحفظ القرآن قال تعالى:" سنقرؤك فلا تنسى إلا ما شاء الله" وكان جبريل عليه السلام يعارض القرآن مرة في كل عام

شهر رمضان قصد التثبيت من حفظه وترتيب آياته وسوره، حتى إذا قرب أجل النبي- صلى الله عليه وسلم-- عارضه مرتين

ولقد تربى هذا الحرص لدى الصحابة-رضوان الله عليهم- حيث عرف عنهم حرصهم ومحبتهم في حفظ القرآن والتنافس في ترتيله وحفظه.

قال عبادة بن الصامت:" كان يسمع لمسجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم-أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا "

ثم تكاثر الحفاظ حتى بلغوا جمعا غفيرا وبقي الاعتماد سائدا على نقل القرآن عن طريق المشافهة والحفظ في الصدور والقلوب قال الإمام ابن الجزري:" إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خط المصاحف والكتب". غير أن الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة من الحفظ فمنهم من حفظ القرآن كله ومنهم من لم يسعفه ذلك.

وممن حفظ القرآن كله من الصحابة الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء.....

ومن النساء أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة رضي الله عنهن أجمعين

جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم-يقول :" استقرءوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، سالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل."

ولعل من بين أبرز أسباب بداية جمع القرآن استشهاد كثير من الصحابة حفظة القرآن (70) في بئر معونة في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم- فكانت إرهاصات لبداية عمليات جمع القرآن الكريم,

مراحل جمع القرآن

مرت عملية جمع القرآن بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : كانت في زمان النبي- صلى الله عليه وسلم- حيث حرص النبي- صلى الله عليه وسلم- زيادة على حفظ القرآن في الصدور إلى اتخاذ كتاب يكتبون ما نول من القرآن أولا بأول ومن هؤلاء الخلفاء الراشدون وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وأنس بن مالك وعمرو بن العاص.

وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول لهم :" ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا" وقد كانت لهم مصاحفهم الخاصة والأدوات الخاصة. من ذلك:

- الرقاع من جلد أو ورق

- اللخاف ، الحجارة الدقيقة أو صفائح الحجارة

- عظام الأكتاف، للبعير أو الشاة

- العسيب، و هو جريد النخل

- الأقتاب، الخشب الذي يوضع على ظهر البعير

كما نهاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- عن كتابة أي شيء آخر عدا القرآن وقال صلى الله عليه وسلم- :" لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه" رواه مسلم وذلك مخافة أن يختلط القرآن بغيره( )"

المرحلة الثانية:

كانت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث ألقت حادثة الردة بظلالها حين ارتد بعض الناس بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- مما استدعى الاستنفار إلى جمع القرآن وحمايته من الضياع حيث جهز أبو بكر الجيوش لمحاربة المرتدين ومات القراء ضمن هذه الجيوش، حيث استشهد في معركة اليمامة أكثر من سبعين من حفظة القرآن الكريم وهذا الحادث أفزع عمر رضي الله عنه الذي أشار على سيدنا ألي بكر الصديق بجمع القرآن وبعد تردد استقر رأي الخليفة أبي بكر على إسناد مهمة جمع القرآن للجنة من الصحابة يترأسهم زيد بن ثابت لكونه من كتبة الوحي في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولأنه حضر العرضة الأخيرة على رسول الله إلى جانب ما تصف به من عقل وثبات ونزاهة، وقد انظم إلى هذه اللجنة أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، وقد اشترط عليهم أبو بكر شرطا وهو ألا يكتب شيء إلا إذا أحضر قائله شاهدي عدل إلا الآية :" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" التوبة (128،129) فقد وجدها مع أبي خزيمة الأنصاري الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته تعدل شهادتين، والآية كان الصحابة يحفزونها غير أن زيدا أراد أن يشفع الحفظ بالكتابة وبقي ما جمع على عهد أبي بكر عنده حتى موته وكذلك بقي كل خلافة عمر ثم انتقل إلى ابنته حفصة

المرحلة الثالثة:

كانت في عهد عثمان رضي الله عنه والدافع لها هو حدوث الكثير من الاختلاف في وجوه القراءة بين المسلمين بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية عقب حركة الفتح الإسلامي وما ترتب عنه من تفرق للصحابة في الأمصار وخروجهم من المدينة على خلاف خلافة عمر الذي كان يجمع صحابة الرسول بالمدينة ويقربهم منه ويستشيرهم، وقد نجم عن تفرق الصحابة في البلدان أن صار كل بلد يقرأ بما سمع وبدأت تظهر اختلافات في القراءة فكان

لابد من حسم هذا الخلاف وقطع دابر الفتنة، وكان هذا بإشارة من حذيفة بن اليمان لما كان في فتح أرمينيا وأذربيجان وسمع اختلافا بين المسلمين في القراءة فأشار على عثمان رضي الله عنه بتدارك هذا الخطر الداهم فأرسل سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى حفصة يطلب منها الصحف ثم أمر بكتابة القرآن في مصحف وأنه في حال اختلاف القراءة يكتب بلغة قريش لأنه نزل بلسانهم وكان ذلك حيث تم جمع القرآن في هذه المرحلة وكان من المشاركين في هذه العملية زيد بن ثابت، عبد اله بن الزبير، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام,

وبعد جمع القرآن في مصحف واحد وزع الخليفة عثمان رضي الله عنه المصاحف على الأمصار وأمر بإحراق ما سواه من صحيفة أو مصحف

- ✓ **مزايا الرسم في عهد أبي بكر:**

- **أنها نسخت القرآن على أدق وجوه البحث والتحري وأسلم أصول البحث العلمي**

- **اقتصر فيها على ما لم تنسخ تلاوته وأبعد المنسوخ منها**

- **ظفرت بإجماع الأمة وتواترها**

- ✓ **مزايا الرسم العثماني:**

- **الاقتصار على ما ثبت تواتره وترك ما سواه من زيادات الآحاد**

- **إهمال ما نسخت تلاوته ولم تستقر على العرضة الأخيرة**

- **ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف-الآن- بخلاف جمع أبي بكر حيث كانت الصحف مرتبة الآيات لا السور.**

- **كتابته بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل بها القرآن**

- **تجريده من كل ما ليس قرآنا كالقراءات التفسيرية التي كان يكتبها بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى أو بيانا لناسخ أو منسوخ**

ترتيب الآيات والسور

يختلف الباحثون في مسألة ترتيب سور القرآن هل هو توقيفي أم توفيقي وذلك بناء على أسس علمية ونقول موثوقة وصحيحة وسنحاول أن نشير إلى بعض ذلك في هذه المحاضرة

- **مفهوم الآية لغة :**

المعجزة، قال تعالى :" سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة"(البقرة 211)

الأمر العجيب: قال تعالى:" وجعلنا ابن مريم وأمه آية"(المؤمنون50)

العلامة الظاهرة : قال تعالى:" إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم"(البقرة 248)

العبرة: قال تعالى: "إن في ذلك لآية " (البقرة 248) أي عبرة لمن يعتبر

البرهان والدليل:" ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم" (الروم 22)

- **اصطلاحا :**

"هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وعما بعدها ذو مطلع ومقطع ومندرج من سورة"

1-ترتيب الآيات:

أجمع علماء الأمة الإسلامية على أن ترتيب آيات القرآن الكريم وفق هذا النمط و على هذا النسق الموجود اليوم في المصاحف إنما كان بتنزيل من الله لجبريل عليه السلام وبتوقيف منه للنبي -صلى الله عليه وسلم-

ويذكر المفسرون وعلماء الحديث والمؤرخون في تاريخ الحضارة الإسلامية أن الآية كانت إذا نزلت يقول لهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- :" ضعوا الآية في موضع كذا من سورة كذا"

ولذلك أجمع العلماء سلفا وخلفا أن ترتيب الآيات توقيفي لا مجال للرأي والاجتهاد فيه وقد كان النبي –صلى الله عله وسلم- حين مدارسته القرآن مع جبريل ومعارضته له كل عام وفي العام الأخير مرتين يقرؤه مرتب الآيات كما كان يقرؤه كذلك في صلاته، وفي خطبه وفي سائر أوقات قراءته بمحضر الصحابة جميعا، حتى إذا تم نزول القرآن كانت كل آياته مرتبة في سورها، وقد حفظها عنه الصحابة بترتيبها فكل من حفظ القرآن أو شيئا منه من الصحابة لم يحفظه إلا على هذا الترتيب الذي هو عليه الآن في سائر المصاحف "

- الأدلة على الترتيب الوقفي للآيات

- روى الإمام أحمد عن عثمان بين أبي العاص قال كنت جالسا عند رسول الله –صلى الله علية وسلم-إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال :" أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة" إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى"....

- ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال قلت لعثمان رضي الله عنه" والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم" وقوله تعالى " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن" قال نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها؟ قال :" يا ابن أخي لا أغير شيئا من مكانه."

- السور المفتتحة بالحروف المقطعة نجد البعض منها عد آية والآخر ليس كذلك مع تعادلها في الحروف

مثال 1: (ألمص) آية و(ألمر) ليست آية

مثال 2: (يسين) آية و (طس) ليست آية

وهذا يدل أن ترتيب الآية وقفي ليس مبنيا على الاجتهاد وإلا لكان حكم المثلين واحدا كقياس المعادلة.

- ترتيب السور

جرى خلاف بين العلماء حوب قضية ترتيب السور في القرآن الكريم على هذا النحو المتداول اليوم ، والسؤال المطروح هل ترتيب السور القرآنية وقفي أم خاضع للاجتهاد والرأي

تعريف السورة:

- لغة : المنزلة الرفيعة وتعني ما طال من البناء

- اصطلاحا: قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات وسميت بهذا الاسم لأن فيها معنى العلو والرفعة ولأن صاحبها ذو منزلة رفيعة عند الله وعند الناس.

وسور القرآن مختلفة طولا وقصرا فأقصر سورة في القرآن هي الكوثر وأطول سورة هي البقرة وعدد سور القرآن 114 سورة يقسمها العلماء غلى أربعة أقسام:

1-السور الطوال: وعددها سبعة (07) وهي من سورة البقرة إلى سورة التوبة.

2-السور المئين: وهي السور التي يزيد عدد آياتها على مائة آية أو يقارب وهي من سورة يونس إلى سورة الأحزاب.

3-المثاني: وهي تلي المئين في عدد الآيات لأنها تثنى أي تكرر وتعاد وهي من سورة الأحزاب إلى سورة ق."

4-المفصل: هي أواخر القرآن تسمى المفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة وهي من سورة ق إلى آخر القرآن

ترتيب السور: اختلف العلماء في قضية ترتيب السور إلى رأيين اثنين :

الرأي الأول :

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن ترتيبها اجتهادي واستدلوا على ذلك بمصاحف الصحابة رضوان الله عليهم التي كانت مختلفة فيما بينها في الترتيب قبل جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن ولو كان الترتيب توقيفيا لالتزموا به.

الرأي الثاني :

ذهب أصحاب هذا الرأي إلى اعتبار أن ترتيب السور توقيفي قال أبو جعفر النحاس: " المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث وائلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"

وقيل للإمام مالك -رحمه الله- كيف قدمت السور الكبار في التأليف وقد نزل بعضه قبل بعض. قال أجل ولكن أراهم إنما ألفوه على مل مانوا يسمعون من قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم.-

إن هذا الترتيب في الآيات والسور قد درج عليه المسلمون قديما في مصاحفهم منذ عهد رسول الله إلى بومنا هذا وسيبقى كذبك إلى يوم القيامة. وعليه فإنه لا يجوز بحال من الأحوال الخروج عن ما اتفق عليه المسلمون.

الموضوع السادس : (علم أزمنة النزول) المكي والمدني

إن عناية أي أمة من الأمم بموروثها الحضاري وتراثها الفكري والثقافي ليدل دلالة قاطعة على مدى الوعي الذي تحلى به أفرادها... حيث لم يعرف التاريخ أمة اعتنت بمصادر عزها وأسباب سعادتها كالأمة الإسلامية، في إقبالها على تراث الرسالة المحمدية وفي مقدمته كتاب الله الذي أنزله على نبيه-ص-. فاهتموا بكل ماله علاقة به، فهذا عبد الله بن مسعود –رض- يقول في فخر واعتزاز :" والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه، وفي هذا حرص بين من الصحابة –رض- عنهم في الاهتمام بكل ماله علاقة بالقرآن الكريم، ومن أهم تلك المباحث التي اهتمم بها العلماء علم المكي والمدني، أو القرآن المكي والقرآن المدني.

<u>أولا تعريف المكي والمدني:</u> لا يوجد تعريف معين له أثناء التنزيل، أو في حياة النبي والصحابة والتابعين، لكن الحاجة العلمية دفعت العلماء إلى البحث عن سبل التعريف به وحصر ضوابطه .

- **فهناك من قال:" إن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، فيشمل المكي ما نزل بمكة وضواحيها، كمنى وعرفات والحديبية، ويشمل المدني ما نزل بالمدينة وضواحيها كبدر وأحد.**

وأجيب عن هذا التعريف بأنه غير ضابط ولا حاصر، لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما، كقوله تعالى:" واسأل منة أرسلنا قبلك من رسلنا" فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء.

- هناك من رأى أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، ولذلك قال ميمون بن مهران فيما أخرجه أبو عبيدة في فضائل القرآن" ما كان في القرآن يا أيها الناس أو يا بني آدم فإنه مكي، وما كان يا أيها الذين آمنوا فإنه مدني".

وأجيب عن هذا التعريف بـ:

- في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما كسورة المنافقون والأحزاب فهو غير ضابط ولا حاصر.
- أن هذا التقسيم غير مطرد فإن هناك آيات مكية صدرت ب يأيها الذين آمنوا وأخرى مدنية صدرت ب يأيها الناس.
- وهناك من قال: " إن المكي ما نزل قبل هجرته-ص- إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة".

وهذا التعريف واضح وصحيح وسليم، لكمال ضبطه، ودقة اضطراده فهو لا يدع أي اختراق بخلاف سابقيه، ولذا فقد اعتمد من طرف العلماء واشتهر بينهم في تقرير المسائل الدينية.

وعليه فإن آية " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"، مدنية مع أنها نزلت في عرفات بمكة، وآية " إن الله يأمركم أن تودوا الأمانات إلى أهلها" مدنية مع أنها نزلت بمكة عام الفتح.

ثانيا : فوائد العلم بالمكي والمدني

- إن العلم به يميز الناسخ من المنسوخ من القرآن الكريم، إذ تحديد الناسخ من القرآن يقرر الحكم الشرعي الدائم، الذي استقرت العرضة الأخيرة منه.
- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم في تشريع الأحكام.
- يعين على معرفة أسباب نزول للآيات القرآنية ويمكن من فهمها فهما دقيقا وسليما، فإن معرفة مواقع النزول تعين على فهم النص القرآني.
- دراسة وتتبع أحداث السيرة النبوية من خلال مرحلتين هامتين هما العهد المكي والعهد المدني.
- الثقة بوصول القرآن إلينا سالما من أي تحريف أو تغيير منذ بدء الوحي.
- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أساليب الدعوة إلى الله فإن لكل مقام مقال، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة العربية، كما أن معرفة المكي والمدني تمكن من معرفة خصائص الخطاب القرآني، (تنوع الخطاب بتنوع المخاطبين، مراعاة مقتضى الحال، مراعاة مراحل الدعوة، مراعاة نفسية المخاطبين).

ثالثا : طرق معرفة المكي والمدني

اعتمد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجيين أساسيين هما:

- **المنهج السماعي النقلي: يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين شاهدوا التنزيل، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقعه وأحداثه.**
- **المنهج القياسي الاجتهادي، ويستند إلى خصائص المكي والمدني فالآية التي تحمل طابع التنزيل المكي قالوا عنها مكية، حتى ولو كانت في سورة مدنية والعكس صحيح، وكذلك إذا وجدوا في السور المدنية ما هو من خصائص القرآن المكي قالوا إنها مكية أو خصائص المدني قالوا إنها مدنية، وهذا كله مبني على القياس والاجتهاد فيكون هذا المنهج معضدا للأول ومدعما له لأن الأصل في معرفة المكي هو النقل والسماع.**

رابعا : ضوابط المكي والمدني

ضوابط المكي:

- **كل سورة فيها سجدة فهي مكية وفي القرآن 11 أو 14 سجدة على خلاف بين العلماء.**
- **كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية وقد ذكر هذا اللفظ 33 مرة في 15 سورة من النصف الثاني من القرآن الكريم.**
- **كل سورة بدايتها بحروف التهجي فهي مكية بخلاف البقرة وآل عمران فهما مدنيتان.**
- **كل سورة في قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة.**
- **كل سورة فيها ذكر قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.**
- **كل سورة فيها " يا أيها الناس" فهي مكية وليس فيها " يا أيها الذين آمنوا" إلا أواخر سورة الحج.**
- **كل سورة من المفصل(سمي بهذا الاسم لكثرة الفصل بين سوره لقصرها وقيل لقلة المنسوخ فيه) فهي مكية.**

ضوابط المدني:

- **كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.**
- **كل سورة فيها إذن بالجهاد أو بيان لأحكامه فهي مدنية.**
- **كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فهي مكية.**
- **كل سورة ذكر فيها مجادلة أهل الكتب فهي مدنية.**

خامسا : موضوعات القرآن المكي والمدني

مواضيع القرآن المكي:

- **الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، كما يتحدث عن البعث والجزاء والقيامة وأهوالها، والجنة والنار، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والأدلة الكونية.**
- **وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل والأخلاق والتعريض بالعادات القبيحة عند المشركين، من قتل وسفك للدماء ووأد للبنات واستباحة للأعراض وأكل مال الحرام...**
- **ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة بما فيه من أبلغ المواعظ وأنفع العبر تسلية للنبي-ص- حتى يصبر، وإرشادا لأمته أن العاقبة لانتصار أهل الإيمان والتوحيد.**
- **الإيجاز في خطابه فقد جاءت السور المكية قصيرة الآيات صغيرة السور قوية الألفاظ، لأن أهلها كانوا أهل فصاحة ولسن.**

مواضيع القرآن المدني:

- **التحدث عن دقائق التشريع وتفاصيل الأحكام، وأنواع القوانين المدنية والجنائية والحربية والدولية والاجتماعية والحقوق الشخصية وسائر ضروب العبادات والمعاملات.**
- **مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام وبيان تحريفهم لكتبهم ومجانبتها طريق الحق.**
- **الكشف عن سلوك المنافقين وتحليل نفسيتهم وفضحهم وبيان خيانتهم وخطرهم على الدين.**
- **الإطناب والتطويل وطول المقاطع حتى يتوافق مع الشرح والبيان في تقرير الشريعة وتوضيح أهدافها ومراميها.**

الموضوع السابع : : علم أسباب النزول

لقد أنزل الله القرآن هاديا للبشرية لما فيه صلاح أمرها ومجلب سعادتها فأخبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" وأكثر القرآن نزل لأجل هذه الغاية السامية ولكن نزل منه أيضا ما كان إجابة عن سؤال موجه للنبي-ص- أو ما كان عقب أحداث يخلد القرآن ذكرها ولأجل هذا أشار العلماء إلى أن القران الكريم على قسمين:

القسم الأول: ما نزل ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب وإنما هو لمحض الهداية.

القسم الثاني: ما نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة وهذا هو موضوع محاضرتنا.

إن معرفة أسباب النزول له أثر كبير في فهم النص القرآني، ولهذا اعتنى كثير من العلماء بمعرفة أسباب النزول، حتى أفرد له بالتصنيف جماعة من العلماء أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري رحمهما الله، ومن

أشهر ما ألف في هذا الفن كتاب أسباب النزول للواحدي، كما ألف فيه شيخ الإسلام ابن حجر وألف فيه العلامة السيوطي كتابا حافلا عظيما سماه "لباب النقول في أسباب النزول".

<u>أولا: تعريف سبب النزول</u>: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، وقد يكون هذا السبب حادثة وقعت في زمن النبي-ص- أو سؤالا وجه إليه.

<u>ملاحظة</u>: الاحتراز بالقيد "أيام وقوعه" عن الآية أو الآيات التي نزلت ابتداء من غير سبب، بينما كانت تتحدث عن بعض الوقائع والأحوال الماضية أو المستقبلة كبعض فصص الأنبياء السابقين أو كالحديث عن الساعة وما يتصل بها.

مثال السؤال: ما روي عن معاذ بن جبل –رض- أنه قال: يا رسول الله، إن اليهود تغشانا، ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يستوي ويستدير ثم ينقص حتى يعود كما كان؟ فأنزل الله :" يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج" .

مثال الحادثة: الخلاف الذي شجر بين الأوس والخزرج بدسيسة من اليهود حتى تنادى كل طرف بالسلاح فأنزل الله: " يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين...."

<u>ثانيا: طرق معرفته.</u>

لا يمكن معرفة أسباب النزول بالرأي بل لابد فيها من الرواية الصحيحة والسماع ممن شاهدوا التنزيل أو وقفوا على الأسباب وبحثوا فيها، من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن اكتسبوا علومهم على أيدي العلماء الموثوقين.

قال الواحدي :"لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب".

وقد بين العلماء أن هناك صيغتان يعرف بهما السبب:

- **التصريح من الراوي بلفظ السبب: بأن يقول سبب نزول هذه الآية هو كذا وكذا...فهذا نص صريح.**
- **الإتيان بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول كقولهم: " حدث كذا أو سئل النبي-ص- عن كذا فنزلت كذا...".**

وقد لا تكون الصيغة نصا في السبب كقولهم (نزلت هذه الآية في كذا...) فقد يراد منه سبب النزول، وقد يراد منه ما تضمنته الآية من أحكام فيكون مثل قوله: عني بهذه الآية كذا...قال ابن تيمية: " قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب فيه".

ثالثا: فوائد معرفته

قد يتوهم البعض أنه لا طائل تحت هذا الفن وليس له أثر كبير لجريانه مجرى التاريخ والقصص، وأنه لا فائدة من سرده لجريانه مجرى التاريخ والقصص وهذا زعم خاطئ وقول مردود.

قال الواحدي: " لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها".

وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن".

وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب". وقد نبه العلماء غلى بعض الفوائد أبرزها:

- **معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم : يستفيد بذلك المؤمن وغير المؤمن، أما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله، وأما غير المؤمن فيقف على مزايا التشريع الإسلامي وأنه جاء لرعاية مصالح الناس لا لأجل الاستبداد والتحكم والطغيان.**
- **تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، مثال آية الظهار نزلت في أوس بن الصامت لما ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة فإن حكمها خاص بهما أما غيرهما فيدخل بدليل آخر قياسا أو سواه.**
- **دفع توهم الحصر وذلك عما يفيد بظاهره الحصر نحو قوله تعالى: "قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به". فقد دفع الإمام الشافعي توهم الحصر وقال بأن الحصر في الآية غير مقصود وإنما نزلت الآية بهذا الحصر محادة ومشادة من الله ورسوله فكأنه قال للكفار:" لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه" ولم يقصد حل ما وراءه فالقصد إثبات التحريم لا إثبات الحل.**

- **فهم معاني القرآن وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها، ومن أمثلة ذلك ما أشكل على مروان بن الحكم في فهم الآية:" لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم" آل عمران 188 حتى أورد له ابن عباس سبب النزول.**

وما أشكل على عروة بن الزبير في فهم معنى قوله تعالى :" إن الصفا والمروة من شعائر الله فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما". فلما أجابته خالته عائشة-رض- وبينت له السبب زال عنه اللبس والإشكال.

- **تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي: لأن الآية تثبت في ذهن من يسمعها إذا عرف سببها، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل ذلك من دواعي ثبوت الأشياء في الذاكرة و انتقاشها في الذهن.**

رابعا: العموم والخصوص في سبب النزول

بعد أن تعرفنا على سبب النزول وصيغه وفوائده يتبادر إلى الأذهان تساؤل مفاده أن الآية التي تنزل بحادثة أو سؤال هل حكمها خاص بمن نزلت عليهم من السائلين؟ أم يتعدى السبب والحكم إلى غيرهم وأشباههم فيعم جميع المكلفين إلى قيام الساعة؟ ويتنوع هذا على:

- **نزول الآية بلفظ العموم وبسبب عام.**
- **نزول الآية بلفظ الخصوص وبسبب خاص.**
- **نزول الآية بلفظ العموم وبسبب خاص.**

فإذا اتفق ما نزل مع السبب في العموم، أو اتفق معه في الخصوص، حمل العام على عمومه، والخاص على خصوصه.

1- **عموم اللفظ وعموم السبب: ومعناه أن الآية القرآنية كان نزولها لسبب عام وبلفظ عام، ومن ثم يتعدى حكمها إلى أشباه من نزلت عليهم من المسلمين . مثال ذلك قوله تعالى:" ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح" فلفظ الآية عام (يسألونك) والسبب هو سؤال المسلمين رسول الله-ص- عن كيفية التعامل مع اليتامى.**
2- **خصوص اللفظ وخصوص السبب: أي أن الآية تنزل لسبب خاص وبلفظ خاص ولا يتعدى لفظها وسببها إلى غير من نزلت عليهم فالحكم خاص بهم. مثال ذلك قوله تعالى: " وسيجنبها الأتقى الذي يوتي ماله يتزكى" فإنها نزلت في أبي بكر، والأتقى صيغة أفعل تفضيل مقرون بأل العهدية فيختص بمن نزل فيه.**
3- **عموم اللفظ وخصوص السبب: فإذا كان السبب خاصا ونزلت الآية بصيغة العموم فقد اختلف الأصوليون أتكون العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟.**

- **ذهب جمهور العلماء إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرها، كآيات اللعان التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته عند النبي-ص- فقال النبي-ص- البينة وإلا حد في ظهرك، فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل رسول الله-ص- يقول: البينة أو حد في ظهرك فقال هلال: والذي بعثك**

بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ به ظهري من الحد، ونزل جبريل بقوله تعالى: "والذين يرمون أزواجهم....إن كان من الصادقين"

فلفظ الآية بصيغة العموم(والذين يرمون) والسبب خاص وهو قذف هلال بن أمية زوجته بشريك بن سحماء، والحكم وهو الملاعنة بين الزوجين ليس خاصا بمن نزلت عليهما، وإنما يتعداهما إلى غيرهما من المسلمين المتلبسين بقصتها، وهذا هو الرأي الراجح والأصح.

- وذهب جماعة إلى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ وهو رأي مرجوح.

الموضوع الثامن : علم التفسير

لقد أنزل الله القرآن الكريم ليكون دستورا للمسلمين ومنهاجا يسيرون عليه في حياتهم فيهتدون بهديه، ويقتبسون من تعاليمه الرشيدة ونظمه الحكيمة، ما يجعلهم في أوج السعادة والعزة، ويرفعهم إلى ذرى المجد ويرشحهم لقيادة الإنسانية قيادة رشيدة ، كي يصلوا بهم إلى شاطئ الأمن والإيمان والاستقرار والسلام.

- **تعريف التفسير:**

التفسير في اللغة: من الفسر بمعنى الإيضاح والبيان.

في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

وعرفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك".

أما التأويل فهو في اللغة مأخوذ من العول وهو الرجوع إلى الأصل.

وهو في اصطلاح المتأخرين:" صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به" وهذا التعريف لا يتفق مع لفظ التأويل في القرآن عند السلف.

فهناك من يرى أن التفسير والتأويل بمعنى واحد وهذا غالب عند المتقدمين وهناك من فرق بينهما:

فبعضهم يرى أن التفسير هو القطع بأن مراد الله كذا، أما التأويل فهو ترجيح أحد المحتملات بدون قطع.

وهناك من ذهب إلى أن التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية، أما التأويل فهو بيان اللفظ عن طريق الدراية.

أو التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، أما التأويل فهو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة.

- **أقسام التفسير:**

هناك عدة أقسام للتفسير وفقا لاعتبارات مختلفة، غير أن التقسيم الأكثر شهرة بين العلماء هو تقسيمه إلى تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي، وهناك من يضيف نوعا ثالثا وهو التفسير الإشاري.

أ- التفسير المأثور: هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة، بيانا لمراد الله تعالى، فالتفسير بالمأثور إما أن يكون تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنة النبوية، أو تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة.

تفسير القرآن بالقرآن مثاله قوله تعالى: " إنا أنزلناه في ليلة مباركة" وقد فسرتها آية أخرى " إنا أنزلناه في ليلة القدر".

تفسير القرآن بالسنة الشريفة: ومثاله تفسير قوله تعالى " يحاسب حسابا يسيرا" فسره قوله –ص- " من نوقش الحساب عذب" وكتفسيره –ص- الصلاة الوسطى بأنها صلاة العصر.

أما تفسير الصحابة فهو أيضا مقبول لأنهم رضي الله عنهم قد اجتمعوا بالنبي –ص- ونهلوا من معينه الصافي، وشاهدوا الوحي والتنزيل ولهم من سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم، وعلو منزلتهم ما يؤهلهم من الفهم الصحيح السليم لكلام الله تعالى.

قال الحاكم: " إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع" ومعنى هذا أن تفسير الصحابي له حكم الحديث النبوي الذي رفع إلى النبي-ص- فهو إذا من المأثور.

أما ما ينقل عن التابعين فهو محل خلاف، فهناك من اعتبره من التفسير بالمأثور وهناك من اعتبره من التفسير بالرأي.

- **نماذج من كتب التفسير بالمأثور**

تفسير ابن جرير الطبري310هـ ، تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي 910هـ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 744هـ.

ب – التفسير بالرأي

الرأي هو الاجتهاد والتفسير بالرأي هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

وهناك خلاف بين العلماء في الأخذ بهذا النوع من التفسير غير أن العلماء وضعوا ضوابط للتفسير بالرأي وهي:

- **النقل عن رسول الله –ص- مع التحرز عن الضعيف والموضوع.**
- **الأخذ بقول الصحابي.**
- **الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف آيات الله إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.**
- **الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه الشرع.**

فمن فسر القرآن باجتهاده ملتزما الوقوف عند هذه الشروط كان تفسيره جائزا خليقا بأن يسمى التفسير المحمود.

ومن حاد عن هذه الأصول وفسر القرآن غير معتمد عليها كان تفسيره ساقطا مردودا وهو التفسير المذموم.

- **<u>نماذج من كتب التفسير بالرأي:</u>**

تفسير الجلالين جلال الدين السيوطي وجلال الدين محمد المحلي.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي.

مفاتيح الغيب للإمام الرازي.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

ج- التفسير الإشاري: " وهو تأويل القرآن بغير ظاهره لأشياء خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينهما وبين الظاهر المراد أيضا، وقد اختلف العلماء في هذا النوع من التفسير بين مجيز ومانع.

غير أن المجيزين وضعوا جملة من الشروط لقبول التفسير الإشاري وهي:

1- **ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.**
2- **ألا يدعي أنه المراد وحده دون الظاهر.**
3- **ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا.**
4- **ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.**
5- **أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.**

- **<u>نماذج من كتب التفسير الإشاري.</u>**

تفسير النيسابوري" غرائب القرآن ورغائب الفرقان".

تفسير الآلوسي" روح المعاني".

تفسير التستري" وتفسيره لم يستوعب كل الآيات".

تفسير ابن عربي محي الدين الصوفي.

الموضوع التاسع : الإعجاز في القرآن الكريم

لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات والدلائل الواضحات، والحجج والبراهين الدامغة التي تدل على صدقهم وعلى أنهم أنبياء مرسلون من عند الله الواحد القهار، وقد خص الله تعالى نبينا محمد –ص- بالمعجزة العظمى(القرآن الكريم).

ولئن كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات مادية حسية تتناسب مع العصر والزمان الذي بعثوا فيه، فإن معجزة النبي-ص- روحية عقلية ، وقد خصه الله بالقرآن معجزة العقل الباقي على الزمان، ليراها ذووا القلوب والبصائر، فيستنيروا بضيائها وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر.

قال –ص-" ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه من البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا" رواه البخاري.

- **مفهوم الإعجاز: الإعجاز في اللغة من العجز وهو القصور عن فعل الشيء، يقال عجز فلان عن الأمر إذا حاوله فلم يستطعه، ولم تتسع له مقدرته وجهده فالإعجاز ضد القدرة.**
- **والمعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.**

قال ابن خلدون: "إن المعجزات هي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت معجزة، وليست في مقدور العباد وإنما تقع في غير محل قدرتهم".

فالإعجاز يتحقق إذا توافرت فيه أمور ثلاثة نجملها فيما يلي:

- **التحدي أي طلب المباراة والمعارضة**
- **أن يكون الدافع إلى رد التحدي قائما.**
- **أن يكون المانع منتفيا.**
- **أنواع المعجزة :**

القسم الأول: المعجزات الحسية: فقد قصد بها العليم الخبير أن تجابه الحواس وتتحدى قدرات البشر، وأغلب المعجزات التي سبقت نبي الإسلام محمد-ص- من هذا النوع، وهناك بعض منها أيد بها النبي-ص- كنبع الماء من بين أصابعه وانشقاق القمر...

القسم الثاني: المعجزات العقلية وهي التي تواجه العقل وتلقاه بكل ما فيه من قوى الإدراك، وهذا النوع من المعجزات لا يقع من الناس موقعا متقاربا وإنما يلقاه كل إنسان بما لديه من فهم وإدراك، وأعظم المعجزات من هذا النوع من كتاب الله " القرآن الكريم".

مميزات المعجزة القرآنية:

- **المعجزات السابقة حسية تخاطب الإدراك الحسي، بينما المعجزة القرآنية عقلية تخاطب الإدراك العقلي.**
- **المعجزات السابقة كانت تأتي من جنس الأشياء التي نبغ فيها قوم النبي المرسل، وجاءت المعجزة القرآنية من جنس ما برع فيه العرب وهو البلاغة والفصاحة والبيان.**
- **المعجزات السابقة كانت منفصلة عما أوحى الله به على الأنبياء المؤيدين بها، أما المعجزة القرآنية فهي من جنس الوحي المنزل فكان ظاهرها وحي وباطنها معجزة.**
- **المعجزات السابقة يقتصر تأثيرها على من شاهدوها أما معجزة النبي-ص- لا تقتصر على من شهدوا التنزيل بل يستمر تأثيرها حتى يوم القيامة.**
- **تأثير المعجزات الحسية ضعيف على مستوى العقائد والأخلاق بعكس المعجزة القرآنية العقلية التي لها أبلغ الأثر على العقائد والأخلاق.**

شروط المعجزة

- **أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، كانشقاق القمر وإحياء الموتى مثلا.**
- **أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونية والعقلية، كفلق البحر مثلا.**
- **أن يستشهد بها مدعي النبوة على صدق دعواه، كمعجزة القرآن الكريم الذي هو آية جليلة على صدق نبوة محمد –ص-.**
- **أن تقع وفق دعوى النبي المتحدى بتلك المعجزة، كنزول المائدة استجابة لطلب سيدنا عيسى عليه السلام، بعد دعوى قومه بالإنزال.**
- **ألا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة.**

مراحل تحدي القرآن للعرب: لقد ثبت أن النبي-ص- تحدى العرب بالقرآن على ثلاثة مراحل.

- **تحداهم بالقرآن كله: في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن، تحديا يظهر على طاقتهم مجتمعين "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" الإسراء 88.**
- **تحداهم بعشر سور منه: قال تعالى :"أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين".**
- **تحداهم بسورة واحدة منه : قال تعالى:" أم يولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله" يونس 38.**

أوجه الإعجاز في القرآن الكريم

- **القول بالصرفة: أي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن وسلبهم عقولهم، وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي، ولو لم يكن ذلك لكان في وسعهم أن يقولوا مثله لأنه من جنس الكلام الذي جرى على ألسنتهم شعرا ونثرا، ولقد قال بهذا الرأي النظام من المعتزلة.**
- **الأدلة على فساد هذا الرأي:**

قوله تعالى" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" فهذه الآية تدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة من اجتماعهم .

- **لو كانت المعارضة ممكنة ومنع منها لم يكن الكلام معجزا، وإنما يكون المنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه.**
- **الفضل ما شهدت به الأعداء فقد ثبت أن فصحاء العرب كانوا يتعجبون من حسن نظمه وبلاغته وسلامته في جزالته، ويطرقون رؤوسهم عند سماع آيه.**
- **كيف يصرف الله قلوب العرب وعقولهم عن معارضة القرآن وهو الذي أمرهم بتدبر آياته قال تعالى:" كتاب أنزلناه إليك مباركا ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب".**
- **أوجه الإعجاز في القرآن**

بعد أن أجمع العلماء على إعجاز القرآن بذاته وعدم استطاعة أحد من البشر الإتيان بمثله، اختلفت آراؤهم في تحديد أوجه الإعجاز فيه.

- **فيرى بعضهم أن وجه الإعجاز في القرآن هو نظمه العجيب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعه وفواصله.**

- **ويرى البعض الآخر أن وجه الإعجاز يكمن في فصاحة ألفاظه وبلاغة عباراته، وجودة سبكه فهو في الدرجة العليا من البلاغة.**
- **ويرى آخرون أن الإعجاز فيه خلوه من التناقض، واشتماله على المعاني الدقيقة، والأمور العجيبة التي ليست بمقدور البشر، ولا في استطاعتهم معرفتها.**
- **وهناك آخرون يرون أن وجه الإعجاز هو ما تضمنه من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة في الفواتح والمقاصد والخواتيم، في كل سورة وأنه يقوم على ثلاثة أسس:**
- **الفصاحة في الألفاظ**
- **البلاغة في المعاني**
- **صور النظم البديع**

ويشير العلماء إلى أن هذه الأمور كلها لا تخرج عن دائرة واحدة هي (الدائرة البيانية) التي امتاز بها القرآن وتفرد بها.

وقد عدد العلماء أوجها عديدة للإعجاز في القرآن الكريم فهو الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، ولذا فإن من جملة الأوجه التي ذكروها:

- **النظم البديع المخالف لكل نظم**
- **أسلوبه العجيب المخالف لجميع أساليب اللغة العربية**
- **الجزالة التي لا يمكن لأي مخلوق الإتيان بها.**
- **التشريع الدقيق الكامل، الذي تميز به عن كل تشريع.**
- **الإخبار بالغيب التي لا تدرك إلا بالوحي**
- **عدم تعارضه مع الفطرة ومع علوم الكون المقطوع بصحتها.**
- **الوفاء بكل ما أخبر به القرآن من وعد ووعيد.**
- **العلوم والمعارف التي اشتمل عليها.**
- **وفاؤه بحاجيات البشر**
- **تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء.**

المراجع

- مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني.
- التبيان في علوم القرآن للصابوني.
- الإيضاح في علوم القرآن عبدالله حشروف.
- مباحث في علوم القرآن مناع القطان.
- موسوعة علوم القرآن عبد القادر محمد منصور.
- علوم القرآن والحديث يحيى خروبي.

تنويه : كل موضوع يقسم إلى محاضرتين مما يغطي عدد الأسابيع البيداغوجية الرسمية المقررة.